Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في سجن الحجاج في واسط، وهو ينتظر الموت، فأخذت دموعه تتساقط بغزارة، وهو الذي تعوّد الاقدام والشجاعة تذكر وزوجته وأهله ورفاقه فأخذ يبكي بكاء حاراً ويحن حنيناً مراً إلى زوجته ويرسل في النهاية رسالة إلى ذويه ومعارفه الذين سيذرفون الدموع عليه بغزارة حينما يعرفون انه قد قتل.

بلغ هذا الشعر، الحجاج وأثر في نفسه، على الرغم من اقتناعه بضرورة الحكم على جحدر بالموت، ففتح له نافذة ضيقة من الأمل إن أخرجته منها بطولته إستحق الحياة. إذ أحضره بين يديه ثم تركه يصارع أسداً فانتصر جحدر عليه. فأكرمه الحجاج واستنابه وخلع عليه وفرض له في العطاء وجعله من أصحابه[1].

وقد ورد أن «جحدراً» لما التقى بالأسد يستعد للانقضاض عليه، والحجاج وجلساؤه يراقبونهما، أخذ جحدر يرتجز:

ليث وليث في منجال ضنك ... كلاهما ذو أُنف ومحك
وبطشة وصولة وفتك ... إن يكشف الله قناع الشك
يظفر في حاجتي ودرك ... فهو أحق منزل بترك
الذئب يعوي والغراب يبكي[2]

إنه الموقف الحاسم، اما الحياة واما الموت، فهي الفرصة الأخيرة، وقف جحدر للسبع بين مخافة المعجبين وشماتة الجبناء، وتشبث بالحياة، واستبسل فقتل خصمه. وبعدما هدأ روعه، أخذ يصف لنا مشاعره عند قتله الأسد، قال:

يا جُمل إنك لو شهدت كريهتي ... في يوم هول مسدف وعجاج
وتقدمي للّيث أرسف موثقاً ... كيما أكابره على الأحراج

...

أقبلت أرسف في الحديد مكبّلاً ... للموت نفسي عند ذاك أناجي

...

(1) ياقوت ـ معجم البلدان 2/ 223، راجع ما ذكرناه ص 49.
(2) الحماسة البصرية 2/ 338.